وقد واجه الرسول صعوبات جمة في إعداد غزوة تبوك. فموارده المالية لم تكن كافية لمساعدة أولئك الذين رغبوا بالمشاركة فيها، ولكن لاقدرة لهم على تحمل نفقاتها، وعليه حثَّ الرسول المسلمين أن يتبرعوا بسخاء إسهاماً في تمويل الحملة. والأحاديث تمجد الصحابة الميسورين، الذين استجابوا لدعوة الرسول. ويذكر أن عثمان بن عفان جهّز ثلث الجيش، الذي يقال أن عدده قارب الثلاثين ألفاً[١٣٢]. والمشاركون فيه كانوا من المدينة، مكة، والقبائل المحيطة بهما[١٣٣].

وفي تبوك تحقق الرسول من أنه بجيش قليل العدة كهذا بعيداً عن دياره، لايستطيع المجازفة بمواجهة مع البيزنطيين أو حلفائهم من العرب. وذكرى مؤتا، حيث فقد ابنه بالتبني، زيد، وابن عمه، جعفر، كانت لاتزال حيَّة في مخيلته، لم يسع الرسول تحمل كارثة أخرى. والحملة إلى تبوك، كانت، على مايبدو، محاولة سابقة لأوانها لغزو سوريا. لكنها تركت أثراً ملفتاً من استعراض القوة، الأمر الذي حدا ببعض التجمعات القبلية على الحدود السورية لعقد معاهدات مع الرسول ودفع الجزية له[١٣٤]. وهذا إضافة إلى بعض التحالفات مع قبائل عربية صغيرة على الحدود، كان المدى الذي وصله نفوذ الرسول في الشمال[١٣٥]. والقبائل الكبيرة في سوريا، مثل غسَّان، بهراء، ولخم، ظلت معادية للمدينة[١٣٦].

***

ولدى عودته إلى المدينة، بدأ الرسول الإعداد لحملة أكبر وأفضل تجهيزاً.وبعد تبوك مباشرة، نلاحظ تغيراً جذرياً في سياسة الرسول تجاه